الارض انه يتكلم اذا شاء وانه خلق ادم بيديه ونحو ذلك من الافعال القايمة بذاته فان
الفعل الواحد من هذه الافعال ليس مما يدخل في مطلق صفاته ولكن كونه بحيث يفعل
اذا شاء هو صفته والفرق بين الصفة والفعل ظاهر فان تجدد الصفة او زوالها
يقتضي تغير الموصوف واستحالته ويقتضي تجدد كمال له بعد نقص او تجدد نقص له بعد
كمال كما في صفات الموجودات كلها اذا حدث للموصوف ما لم يكن عليه من الصفات مثل تجدد العلم
بما لم يكن يعلمه والقدرة على ما لم يكن يقدر عليه ونحو ذلك او زال عنه ذلك بخلاف الفعل و
هكذا يقوله طوايف من اهل الكلام المخالفين للمعتزلة والذين هم اقرب الى السنة منهم من
المرجئة والكرامية وطوايف من الشيعة كما نقلوا عن الكرامية الذين يقولون انه تحله الحوادث
من القول والارادة والاسماع والنظر ويقولون مع ذلك لم يزل الله متكلما ولم يزل مشيا
القديمة ولم يزل سميعا بصيرا اجمعوا على ان هذه الحوادث لا توجب لله سبحانه وصفا ولا
هي صفات له سبحانه وصفاته الازلية هي صفاته الذين ينازعون في هذا من المعتزلة ومن اتبعهم من
الاشعرية وغيرهم فيقولون لو قام فعل حادث بذاته القديم لاتصف به وصار الحادث
صفة له اذ لا معنى لقيام المعاني واختصاصها بالذوات الا كونها صفات لها فلو قامت الحوادث
من الافعال والاقوال والارادات بذاته القديم لاتصف بها كما اتصف بالحياة والقدرة و
العلم والمشيئة ولو اتصف بها لتغير بها والتغير عليه ممتنع وهذا نزاع لفظي فان تسمية
هذا صفة و تغيرا لا يوافقهم الاولون عليه وليست اللغة ايضا موافقة عليه فان
لا تسمي قيام الانسان وقعوده تغيرا له ولا يطلق القول بانه صفة له وان اطلق ذلك
فالنزاع اللفظي لا يضر الا اذا خولفت الفاظ الشريعة وليس في الشريعة ما يخالف ذلك و
لكن هؤلاء كثيرا ما يتنازعون في الالفاظ المجملة المتشابهة وقد قيل اكثر اختلاف
العقلا من جهة اشتراك الاسما قال الامام احمد في وصف اهل البدع فهم مخالفون للكتاب
مختلفون في الكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله
بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم والذي يبين
ان مجرد الحركة في الجهات ليس تغيرا ما ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك
اضعف الايمان فامر بتغيير المنكر باليد او اللسان ومعلوم ان تغيير المنكر

هو

هو ما يخرجه عن ان يكون منكرا وذلك لا يحصل الا بازالة صورته وصفته لا بتحريكه
من حيز الى حيز فتغيير الخمر لا يحصل بمجرد نقلها من حيز الى حيز بل باراقتها او افسادها
مما فيه استحالة صورته وكذلك من راى من يقتل غيره لم يكن تغيير ذلك بمجرد النقل الذي
ليس فيه زوال صورة القتل بل لا بد من زوال صورة القتال وكذلك الزانيان و
كذلك المتكلم بالبدعة والداعي ليس تغيير هذا المنكر بمجرد التحويل من حيز الى حيز وامثال
ذلك كثيرة فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد امر بتغيير المنكر وذلك لا يحصل قط
بمجرد النقل في الاحيان والجهات اذ الاحيان والجهات متساوية فهو منكر هنا كما انه منكر
هنا علم ان هذا لا يدخل في مسمى التغيير بل لا بد في التغيير من ازالة صورة موجودة وان
ذلك قد يحصل بالنقل لكن الغرض ان مجرد الحركة كحركة الشمس والقمر والكواكب لا يسمى
تغيرا لها بخلاف ما يعرض للجسد من الخوف والمرض والجوع ونحو ذلك مما يغير صفته
قلت وفي هذا الكلام الذي ذكره الامام احمد رد على الطايفتين المختلفتين في معنى
قول احمد وساير السلف في معنى ان القران غير مخلوق هل المراد انه قديم لازم لذاته
لا يتعلق بالمشيئة والقدرة كالعلم او المراد انه لم يزل متكلما كما يقال لم يزل عالما وقد
ذكر الخلاف في ذلك عن اصحاب الامام احمد ابو بكر عبد العزيز في كتاب المقنع وذكره عنه
القاضي ابو يعلى في كتاب البيان في القران مع ان القاضي واتباعه يقولون بالقول الاول
وينازعون كلام احمد المخالف لذلك على الاسماع ونحوه وليس الامر كذلك وهذه
المسئلة هي التي وقعت الفتنة بها بين الامام ابي بكر بن خزيمة وبعض اصحابه وكلام احمد والايمة
ليس هو قول هؤلاء ولا قول هؤلاء بل فيه ما اثبته هؤلاء من الحق وما اثبته هؤلاء من
الحق وكل من الطايفتين اثبت من الحق ما اثبته فان الامام احمد قد بين ان الله لم يزل
متكلما اذا شاء ونظر ذلك بالعلم والقدرة والنور فليس كالمخلوقات البايِنة عنه لان
الكلام من صفاته وليس كالصفة القايمة به التي لا تتعلق بمشيته ولهذا قال احمد في
رواية حنبل لم يزل الله متكلما عالما غفورا وقد ذكرنا كلام ابن عباس في دلالة القران على
ذلك فذكر احمد ثلاث صفات متكلما عالما غفورا فالكلام يشبه العلم من وجه و
يشبه المغفرة من وجه فلا يشبه باحدهما دون الاخر كما الطايفة التي جعلته

Copyright © King Saud University